

إيران تجدد دماء حلمها
بوصول بايدنعمر علي البديوي
كاتب سعودي

الدعوة إليه العاهل السعودي في كلمته منتصف نوفمبر أمام مجلس الشورى، وحث المجتمع الدولي على اتخاذ "موقف حازم" للتصدي لسعي النظام الإيراني للحصول على أسلحة دمار شامل، وتطوير برامج للصواريخ الباليستية، وتدخلاته في الشؤون الداخلية للدول الأخرى، وراعيته للإرهاب وتهديده للسلم والأمن الدوليين.

وفي مواجهة الصلابة التي تبديها الرياض في وجهها، تزعم الخارجية الإيرانية، أن يدها للصدقة لا تزال ممدودة أمام السعودية، داعية إلى الابتعاد عن توجيه الاتهامات إلى إيران نتيجة ما سمته الجهل بالمعادلات الإقليمية والدولية، وهو ما يشير إلى حجم طموحها لانفراجة تحملها نتيجة الانتخابات الأميركية الأخيرة.

رغم وعد بايدن بالعودة إلى الاتفاق الذي شارك في بنائه أيام عمله نائبا للرئيس أوباما، لكن تغييرات داخل التركيبة السياسية الأميركية قد تعرقل إعادته بنسخته الأصلية القديمة، لاسيما وأن خطوات إيرانية اتخذت كرد فعل على إدارة ترامب ساهمت في إفشاله وتعقيد العودة إليه، وقال مسؤولون إيرانيون مرارا إن خطواتهم باتجاه عدم الالتزام بالاتفاق "لا رجعة فيها"، وإنه لا يمكن ببساطة محو التقدم الذي يتم إحرازه في مجالات البحث والتطوير في إيران.

وبذلك، تصعب العودة إلى الاتفاق بشكله السابق الذي كان محل اعتراض دول الخليج، كما يدعم الثلاثي الأوروبي الذي ساهم في إنجاحه والحفاظ عليه، أي تعديلات من شأنها أن تجعله مقبولا ومدعوما من دول المنطقة، ومن ذلك أن يشمل تحركات إيران الإقليمية وتطوير الصواريخ الباليستية إلى جانب تقييد أنشطة طهران النووية.

لا أحد يريد لهذه المنطقة أن تستمر في نطق المخاطر بلا أفق للخروج، دول الخليج من أكثر الدول رغبة وميلا للاستقرار والسلم، وتود لعواصم إقليمية أن تلتقي معها في منتصف طريق التفاهم والشراكة والتعاون على النفع المتبادل في إطار الاحترام ونزع أوهم السيطرة وغرور الإمبراطوريات المتخيلة، وقد وصلت بعد أربعة عقود من الاحتكاك بالسلوك الإيراني لقناعة بان طهران لا تفهم لغة الحوار وتبادل وجهات النظر، وأن الضغط المشفوع بدعم دولي ضروري لنزع فتيل السلوك التخريبي الذي تتخذه إيران ومثلها الآن تركيا أردوغان.

وإذا كان لا بد من طاوله للحوار حول مستقبل المنطقة وأدوار اللاعبين فيها، فلا يمكن أن يحدث ذلك بمعناى عن حضور الدور الخليجي ومشاركته وضع النقاط على حروف التفاهم والشراكة والعمل من أجل منطقة آمنة ومستقرة.

ودعا الأمير تركي الفيصل، رئيس الاستخبارات السعودية الأسبق، في كلمة له بمؤتمر "المجلس الوطني للعلاقات الأميركية العربية"، الرئيس الديمقراطي القادم جو بايدن إلى عدم تكرار "أخطاء الماضي" مع إيران. وشدد على أن إعادة الانضمام إلى الاتفاق، كما هو، لن تخدم الاستقرار في منطقتنا، وإعادة الانضمام ثم التفاوض حول القضايا المهمة الأخرى سيُسقط الدبلوماسية في فخ ويجعلها عرضة للابتزاز الإيراني.

توقع طهران أن الرسائل المفخخة التي ترسلها عبر وكيلها في اليمن على الأراضي السعودية، بوصف الرياض أحد أركان خطة مواجهة السلوك والتقدم الإيراني، كافية لردع السعودية عن دعم أي توجه عقابي تستحقه إيران إزاء حماقاتها السياسية والأمنية.

لكن شيئا لا يمكن أن يوقف قرارا إستراتيجيا اتخذته الرياض ودول الخليج لوقف طهران عن زحفها الهستيري للسيطرة بسهولة على المنطقة، وهو ما جدد



العراق يقاوم... وإيران أكثر عدوانية

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

في ظلّ التعقيدات وحال الضعف التي يمرّ فيها العراق هذه الأيام، جاء افتتاح معبر عرعر الحدودي مع المملكة العربية السعودية لبيعته نوعا من الأمل بوجود ضوء ما في نهاية نفق مظلم. تكمن أهمية شعاع الأمل هذا في أنه يبعث ببعض التفاؤل بأنّ العراق ما زال يقاوم. يقاوم عبر قنوات عدة من بينها إعادة ترميم علاقاته العربية بفضل تصميم رئيس الوزراء مصطفى الكاظمي.

وضع الكاظمي نصب عينيه إعادة التوازن إلى السياسة العراقية، داخليا وإقليميا وخارجيا. يدرك أن مثل هذا التوازن الذي قد يُستعاد يوما شرط ضروري في حال كان العراق يريد إيجاد موقع له في المنظومة الإقليمية التي ينتمي إليها والتي هو أصلا جزء لا يتجزأ منها.

تبدو عملية إعادة التوازن هذه، التي تمزّ في زرع سلاح القوى غير الشرعية مثل ميليشيات إيران، في غاية الصعوبة. يزيد من صعوبتها الإصرار الإيراني على اعتبار العراق مجرد مستعمرة تدار من طهران. لعل أكثر ما يدل على مدى الإصرار الإيراني على منع العراق من إعادة ترميم علاقاته العربية الحاملة التي انطلقت من جيوب موالية لإيران تركّز على أن الاستثمارات السعودية في العراق نوع من "الاستعمار".

هل وصل التخلف في أوساط عراقية معينة، مرتبطة عضويا بالمشروع التوسعي الإيراني، إلى اعتبار من يوظف في مشاريع داخل العراق يمتلك عقلية المستعمر، إنه بالفعل تسخيف لكل القواعد التي تقوم عليها العلاقات بين الدول في القرن الواحد والعشرين، فكيف الأمر بين دولتين جارتين عضوين في جامعة الدول العربية، وبين المؤسسين لها، هل وصل بينهما تاريخ طويل وتواصل على كل صعيد، بما في ذلك بين العشائر والعائلات العراقية والسعودية؟ الأكيد أن رئيس الوزراء العراقي في وضع لا يحسد عليه. لكن الأكيد أيضا أنه يحاول.

ليست إعادة فتح المعبر، بعد ثلاثة عقود على إغلاقه إثر اجتياح الكويت في العام 1990، سوى دليل على وجود رغبة عراقية في تفادي فقدان الأمل كله والدخول في مرحلة اليأس... اليأس من أن هناك مستقبلا أفضل للعراق وأن مصيره لن يكون أفضل من مصر سوريا ولبنان واليمن.

ما يدعو إلى المحافظة على الأمل أن العلاقات الجديدة، أو المتجددة، بين السعودية والعراق ليست ذات طابع عاطفي. جاءت العلاقات، بما في ذلك إعادة فتح معبر عرعر، بعد زيارات متبادلة عدة بين وفود من البلدين. صمّت هذه الوفود لخصائص يعرّفون تماما ما الذي يمكن عمله وما الذي يجب تفاديه. كان الهمّ الأوّل للمشاركين في هذه الوفود العثور على مشاريع مشتركة قابلة للحياة ومنتجة يستفيد منها البلدان من جهة وتخدم مصلحة العراق الذي يعاني من أزمة اقتصادية عميقة من جهة أخرى. أين العيب في ذلك، أين العيب في خلق فرص عمل للعراقيين؟ العيب الوحيد في أن العراق يريد أن يكون بلدا منفتحا على كل دول المنطقة، بما في ذلك إيران. يعتبر أن ذلك في مصلحته، مثلما أن في مصلحته محاربة الفساد والسعي إلى إقامة تعاون في العمق مع إقليم كردستان على الرغم من الضائقة المالية التي يعاني منها البلد. حرص الكاظمي على الذهاب إلى طهران في إطار جولة كان مقترضا أن تشمل الرياض أيضا. لكن زيارة رئيس الوزراء العراقي للسعودية تأجلت في حينه لأسباب مرتبطة بإجراء الملك سلمان جراحة لاستئصال المرارة. تأجلت الزيارة. ما لم يتأجل هو المشاريع المشتركة مع السعودية وذلك في سياق البحث عن التوازن المنشود للعراق.

طبعي اشتداد الحملة الإيرانية على التقارب السعودي - العراقي. هناك في الوقت الحاضر نظام إيراني أكثر عدوانية تجاه دول المنطقة. يخشى هذا النظام إفلات العراق منه. هذا ما يفسّر إلى حد كبير إطلاق ما يدعو إلى المحافظة على الأمل أن العلاقات الجديدة، أو المتجددة، بين السعودية والعراق ليست ذات طابع عاطفي. جاءت العلاقات، بما في ذلك إعادة فتح معبر عرعر، بعد زيارات متبادلة عدة بين وفود من البلدين. صمّت هذه الوفود لخصائص يعرّفون تماما ما الذي يمكن عمله وما الذي يجب تفاديه. كان الهمّ الأوّل للمشاركين في هذه الوفود العثور على مشاريع مشتركة قابلة للحياة ومنتجة يستفيد منها البلدان من جهة وتخدم مصلحة العراق الذي يعاني من أزمة اقتصادية عميقة من جهة أخرى. أين العيب في ذلك، أين العيب في خلق فرص عمل للعراقيين؟ العيب الوحيد في أن العراق يريد أن يكون بلدا منفتحا على كل دول المنطقة، بما في ذلك إيران. يعتبر أن ذلك في مصلحته، مثلما أن في مصلحته محاربة الفساد والسعي إلى إقامة تعاون في العمق مع إقليم كردستان على الرغم من الضائقة المالية التي يعاني منها البلد. حرص الكاظمي على الذهاب إلى طهران في إطار جولة كان مقترضا أن تشمل الرياض أيضا. لكن زيارة رئيس الوزراء العراقي للسعودية تأجلت في حينه لأسباب مرتبطة بإجراء الملك سلمان جراحة لاستئصال المرارة. تأجلت الزيارة. ما لم يتأجل هو المشاريع المشتركة مع السعودية وذلك في سياق البحث عن التوازن المنشود للعراق.

صواريخ في اتجاه السفارة الأميركية في بغداد عشية افتتاح معبر عرعر بكل ما يرمز إليه من إصرار عراقي على البعد العربي للبلد بمواطنيه الشيعة والسنة.

لا يمكن وضع الروح العدوانية لإيران، التي ازدادت هذه الأيام، خارج إطار فشل دونالد ترامب في الفوز بولاية ثانية وبدء العمل من أجل تشكيل إدارة جديدة برئاسة جو بايدن. من الواضح أن إيران تنوي التفاوض مع الإدارة الجديدة من موقع قوة وعن طريق تأكيد أنها تمسك بأوراقها العراقية والسورية والبلنانية واليمينية بطريقة جيدة وبإحكام شديد.

ليس العراق وحده المكان الذي تكشف فيه إيران مدى عدوانيتها من خلال مشروعها التوسعي. تصرّ إيران على تأكيد أن وجودها في سوريا أبادي وأن خطتها الهادفة إلى تغيير طبيعة التركيبة السكانية لسوريا مستمرة. هذا ما يفسّر الوجود الكثيف لميليشيات إيرانية في مختلف أنحاء سوريا، خصوصا في محيط دمشق وعلى طول الحدود مع لبنان. ما ينطبق على سوريا ينطبق على لبنان حيث تمنع إيران عبر "حزب الله"، الذي ليس سوى لواء في "الحرس الثوري" الإيراني، تشكيل حكومة لبنانية. طرح إيران صراحة تغيير طبيعة النظام اللبناني عبر تفكيك مؤسسات الدولة الواحدة تلو الأخرى. تستخدم "حزب الله" وسلاحه الموجه إلى صدور اللبنانيين بطريقة فعالة... "حزب الله" يستخدم بدوره حليفه المسيحي، أي "التيار الوطني الحر" الذي يرأسه جبران باسيل صهر رئيس الجمهورية ميشال عون بأفضل طريقة ممكنة. يحصل ذلك كله كي يتبين أن لبنان ليس سوى جرم يدور في الفلك الإيراني، خصوصا بعدما صار "حزب الله" يقرّر من هو رئيس الجمهورية المسيحي في هذا البلد.

يبقى اليمن حيث يمارس الحوثيون (انصار الله) سياسة هجومية أكثر من أي وقت. بعد وصول سفير إيراني جديد إلى صنعاء حديثا، لم يعد من شك في أن "الجمهورية الإسلامية" استطاعت تطويع الحوثيين كليا ووضعهم في خدمة مشروعها. لم يعد هناك في العاصمة اليمنية، التي وضع "انصار الله" أيديهم عليها، من يستطيع القول إن لدى الحوثيين أي هامش، ولو ضيق، يسمح بأي اختلاف من أي نوع مع إيران. إلى أي حد يستطيع العراق المحافظة على مقاومته للمشروع الإيراني؟ الكثير سيعتمد على الإدارة الجديدة في واشنطن. ليس معروفا بعد هل سيكون جو بايدن ذا سياسة خاصة به... أم يكون باراك أوباما أخرا!

